سلسلة
أهل الأثر في مملكة البحرين

ذَمّ الدُّنْيَا

تأليف فضيلة الشيخ

فوزي بن عبد الله بن محمد الحميدي الأثري

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دراسة منهجية علمية أثرية
في ذم الدنيا والدنيويين، وذكر
المفهوم الصحيح للعمل فيها
للموفقين في الدنيا والدين معا

سلسلة
ينابيع الأنهار في فقه
الكتاب والسنة والآثار
٧١

حدثنا وأخبرنا
القرآن الكريم
السنة الصحيحة
مكتبة أهل الحديث
البحرين

ذَمّ ٱلدُّنْيَا

حُقوقُ الطبع مَحفُوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥

مكتبة

أَهْلِ الحَدِيثِ

مملكة البحرين - المحرق

هاتف: ١٧٣٤٤٦١٦

فاكس: ١٧٣٤١٦٧٦

سلسلة
أهل الأثر في مملكة البحرين

ذَمّ الدُّنْيَا

تأليف فضيلة الشيخ

فوزي بن عبد الله بن محمد الحميدي الأثري

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دراسة منهجية علمية أثرية
في ذم الدنيا والدنيويين، وذكر
المفهوم الصحيح للعمل فيها
للموفقين في الدنيا والدين معاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا نَجَا

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحَمدَ للهِ نَحْمَدُهُ، ونَسْتعينُهُ، ونَسْتغفِرُهُ، ونعوذُ باللّهِ مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيئاتِ أعمالِنَا مَنْ يهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هادِيَ لهُ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

أما بعد،

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللّـهِ، وخـيرَ الهـدي هـديُ مُحمَّـدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمـورِ مُحدثاتُها، وكُلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّار.

لقدْ حَذَّرَ الإسلامُ مَنْ فُتِحتْ عليهِ زَهرةُ الحيـاةِ الـدُّنيا مِـنْ سُـوءِ عَاقِبتِهَـا، وشرِّ فِتْنتِهَا؛ فلَا يَنْبَغِي أنْ يُطْمَئنَّ إلى زُخْرفِهَا... فَتلَهَّفَ الإنسانُ على شَهواتِ الدُّنيا، ونَسَـى لقاءَ ربِّه سبحانه، ولم يَعملْ للاستعْدَادِ ليومِ المَعادِ، وليسَ هذَا مِنَ الإسْلامِ في شيءٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٥-١٢٤ - ١٢٦].

قُلْتُ: فالتَّنافسُ في الدُّنْيا يجرُّ الإنسانَ إلى فَسادِ الدُّنيا والدِّين، ثُمَّ الهلَاكُ في الدُّنيا.

فَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَـالَ رَسُـولَ اللّـهِ ﷺ: «فَوَاللّـهِ مَـا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ[(١)]»[(٢)].

---

(١) وهذا الحديثُ يدلُّ على شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ على أُمتِهِ، وحِرْصِهِ على نَجاتِهِم في الدُّنيا والآخرة.

قلت: فالصَّبرُ مَعَ مُكابدةِ الفِقْرِ، وخشونةِ العَيْشِ من مَنَازِلِ الأبرار.

(٢) أخرجه البُخَارِيُّ في «صحيحه» (ج٦ ص٢٥٧)، ومُسْلِمٌ في «صحيحه» (٢٩٥٦).

قلت: فالتُّعلقُ بالدُّنْيا يُفْسِدُ الدِّين، ويُشْغلُ عَنِ الآخِرةِ، اللَّهُمَّ سلِّم سلِّم.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّـهِ ﷺ أَنّ رَسُولَ اللّـهِ ﷺ قَالَ: عَنْ جَدْيٍ مَيِّتٍ مِـنْ أَوْلادِ الْمَعْزِ: «فَوَاللّـهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللّـهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ» (١).

قلت: فالدُّنْيا ومَا فِيَها أَذلّ، وأَحْقرُ عندَ اللّـهِ تعَالى مِـنْ هـذَا الجَـدِيّ الميِّـت عنـد النّاسِ.

وَعَنْ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِـرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَاذَا يَرْجِعُ» (٢).

قلت: فالدُّنْيا لا تخدعُ عَاقِلاً، وإنَّما تَغرُّ مَنْ كانَ جَاهِلاً، فمتاعُها في الآخرةِ قَليـلٌ، واللهُ المُستعانُ.

---

(١) أخرجه مُسْلِمٌ في «صحيحه» (٢٩٥٧).

قلت: فإنعامُ اللّـهِ تَعَالى على أهل الفَسادِ في الدُّنيا ليسَ هو دليلُ محبةٍ، إنَّما هو اسْتدراجٌ، وتَعجيلٌ لهم بالطِّيبات حتى إذا لَاقُوا اللهَ تَعالى لم يَكُنْ لهم في الآخرةِ نَصيبٌ إلَّا العذاب، والعياذُ باللّـهِ.

(٢) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» (٢٨٥٨).

الْيَمُّ: البحر.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللّـهِ عَلَيْكُمْ»[(١)]. وهذا لفظ مسلم في «صحيحه» (٢٩٦٣).

قلت: فالمُسلمُ عليهِ أنْ ينظرَ إلى مِنْ هُوَ أَدْنَى منهُ في أُمُورِ الدُّنْيا، والنّظر لِمنْ هُوَ أَعْلى منهُ في أُمُورِ الدِّين... لأنّ النَّظرَ إلى مَنْ هُوَ أكثرُ منهُ مالاً يُؤدِيَ إلى الضّجَرِ، والقَلَقِ، وعَدَمِ شُكْرِ نِعَمِ اللّـهِ تَعالى عليهِ... والنَّظر إلى مَنْ هُوَ أَعْلى منهُ دِيناً يُحفّزُّ على المزيدِ مِنَ الطَّاعةِ، والإقبالِ على اللّـهِ تَعالى بالعِبَادَةِ[(٢)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البُخَارِيُّ في «صحيحه» (ج١١ ص٣٢٢)، ومُسلمٌ في «صحيحه» (٢٩٦٣)، وفي روايةٍ للبُخَارِيِّ في «صحيحِهِ»: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ».

أسفلَ منكُم: أَدنى مِنْكم في أُمورِ الدُّنيا.

(٢) انظر: «بهجة النّاظرينَ شَرْحِ رياضِ الصّالحينَ» للهِلَالي (ج١ ص٥٣٤).

قلت: عدمُ التَّطلُّعِ إلى ما في أيدِي النَّاسِ مِنْ مالِ الدُّنيا.

(٣) أخرجه مُسْلِمٌ في «صحيحه» (٢٩٥٦).

قلت: فالمؤمنُ في الدُّنيا غَريب، فيجبُ عليهِ أن يقتصرَ على ما لابدَّ منه، ويتزودُ لآخرتِهِ، لأنَّ الجنةَ هي مَوطنهُ.

قلت: وهذا الحديثُ فيه تَحْرِيضُ المُؤْمنَ على الإعْراضِ عَنْ مَحَبَّةِ الدُّنيا، وعَدمِ الانْغِمَاسِ في مَتَاعِهَا؛ كَمَا يَفعَلَ الكَافرُ، والمبتدعُ، وتشوقُه إلى الدَّارِ الآخرةِ.

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ» (١).

قلت: وهذا الحديثُ فيهِ البَيانُ لِمَا ابْتلى اللهُ تَعَالى بِهِ هذه الأُمَّة، وهو المالُ حيثُ يَظْهَرَ به صِدْقُ التزامهم، وزكاةُ نُفوسِهم، وتمسكِهم بمنَهْجِهم (٢).

وبَوبَ عليه الترمذيُّ في «السُّنن» (ج٤ ص٣٦٦)؛ باب: ما جاء أنَّ فِتْنَةَ هذه الأمّةِ في المالِ.

لذلك يجبُ ترك التّوسع في زينةِ الدُّنيا، والاستزادة مِنْ متاعِها، اللَّهُمَّ غُفْرًا.

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ.**

أخرجه التِّرْمِذِيُّ في «سُننه» (٢٣٣٦)، والنَّسَائِيُّ في «السُّنن الكُبرى» (١١٧٩٥)، وأحمدُ في «المُسند» (ج٤ ص١٦٠)، والحاكمُ في «المُستدرك» (ج٤ ص٣١٨)، وابنُ حِبَّانَ في «صحيحه» (٣٢٢٣)، والقُضَاعِيُّ في «مُسند الشِّهاب» (١٠٢٢).

وإسنادهُ صحيحٌ.

وقال التِّرْمِذِيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.

(٢) وفي الحديثِ شدّةِ ميل النُّفوس للمَالِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر:٢٤].

قلت: فاحذروا الاغْترار بِهَا... احْذَرُوا الافْتتان لها... فيَنْبَغِي الزُّهد في الدُّنيا، وعدم الجري وراءَ حُطامِهَا، أو التّعلق بأوهامِهَا، فإنَّها تعرضُ نفسَهَا على العِبَادِ بحلَاوتِها، وخُضرتِها، وزِينتِهَا فمَنْ تَعَلَّقَ بها أهلكتُه، والعياذُ باللّهِ.

فلابدَّ مِنَ الاتِّعاظِ وأخذِ العبرةِ من الأُممِ السَّابقةِ، فإنَّ هلاكَها كانَ بسببِ فتنةِ الدُّنيا، فَمَا حَصَلَ لها يَحصلُ للأُمّةِ، واللهُ المُستعانُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

قلت: ولكنْ يَنْبَغِي ألَّا يَنْسَى الإنسانُ نصيبَهُ مِنَ الدُّنيا... فإنَّ المَذمومَ هو جَعْلُ الدُّنيا غايةَ الحياةِ، والتَّعلق بها، كَمَا يحدثُ اليومَ، والعياذُ بالله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [القصص:٧٧].

إنّ مَفهومَ ذَمِّ الدُّنيا؛ يعني: ألَّا يتعلقُ قلبُ الإنسانِ بشيءٍ مِنْ شَهَواتِهَا... وألّا تُسيطرُ عليهِ فتنةٌ مِنْ مَفَاتنِهَا[1]... وألَّا يَتحركُ فيهَا إلَّا مِنْ خِلَالِ مِنْهجِ اللّهِ تَعَالى، فيتمتَّعُ بِمَا أحلَّ اللهُ تَعَالى له، وينعمُ بالطَّيبات مِنَ الرِّزْقِ، ويَعمر الأرضَ حَتّى تكونُ كلمةُ اللّهِ تَعالى هي العُليا، وكلمةُ الذين كَفرُوا، والذين ابتدعُوا السُّفلى.

---

(١) ويتبَّينُ لنا مكانةَ الدُّنيا، وخطرهَا على القُلوبِ.

وهذا الكتابُ يُرشدُنا إلى مَا هُوَ محمودٌ مِنَ الدُّنيا، ومَا هُوَ مَـذْمومٌ، ويبّـينُ لنـا أنَّ الدُّنيا ليستْ مَقْصُودةٌ لنفسِهَا، وإنّما جَعَلَها اللهُ طَرِيقاً مُوصِلاً إلى الآخرةِ، ولم يجعَلْها دارَ إقامةٍ، ولا جزاءٍ، وإنَّما جَعَلَهَا دارَ بلاءٍ واختبارٍ، اللَّهُمَّ سلِّم سلِّم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ [الرعد:٢٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[التوبة:٣٨].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله فِي «مَـدَارج السَّـالكِينَ» (ج٢ ص٩): (وَالْقُـرْآنُ مَمْلُـوءٌ مِـنَ التَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِخْبَارِ بِخِسَّتِهَا، وَقِلَّتِهَا وَانْقِطَاعِهَا، وَسُرْعَةِ فَنَائِهَـا. وَالتَّرْغِيـبِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْإِخْبَارِ بِشَرَفِهَا وَدَوَامِهَا. فَإِذَا أَرَادَ اللّـهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَقَامَ فِي قَلْبِهِ شَاهِدًا يُعَـاينُ بِهِ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُؤْثِرُ مِنْهُمَا مَا هُوَ أَوْلَى بِالْإِيثَارِ). اهـ

هذا ونسألُ اللهَ الكريم عِلْماً نَافِعاً، وعَمَلاً صَالِحاً، وتَوْفِيقاً لِمَا يحبهُ ويَرْضـاهُ، فهـو الموفقُ، والهادي إلى سَواءِ السَّبيلِ.

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَثَرِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

واللهُ الفاتِنُ في الحَياةِ الدُّنْيا
ذكرُ الدَّليلِ على الزُّهدِ في الدُّنْيا،
والحَثِّ على التَّقلُّلِ مِنْهَا، والخَوْفِ
مِنْ خَطَرِهَا، والفِتْنةِ بهَا، وسُرْعةِ فَنائِهَا، والتَّرغيبِ
في الآخرةِ وفَضْلِهَا على الدُّنْيا، والإخبارِ بَشَرفِهَا وبقَائِها

لقد بَيَّن اللهُ تعَالى أنَّ الحياةَ الدُّنْيا لَعِبٌ ولَهْوٌ، وأنَّها زينةٌ فانِيَةٌ زائِلَةٌ، وأنَّ الدَّارَ الآخرةِ هي الحياةُ الباقيةُ الهانِئَةُ التي لا زَوالَ لها، ولا انْقِضَاءَ، ولو كَانَ يعلمُ الكُفَّارُ في الخارجِ، والمُبتدعةُ في الدَّاخِلِ هذه الحقيقةُ لآثَرُوا ما يَبْقَى على مَا يُفْنى!.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت:٦٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا * ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٥ - ٤٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران:١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر:٥].

قلت: وهذه الآياتُ تدلُّ على ذَهابِ زَهْرةِ الحياةِ الدُّنْيا وزِينتِهَا، وسِرْعةِ انْقضائِهَا، وزَوالِهَا وفنائِهَا... وأنَّ الدارَ الآخرةِ كائنةٌ لا مَحالة لَمِا فِيهَا مِنَ الخَيراتِ، والمَغْفرةِ والرِّضوانِ مِنَ اللّهِ تَعَالى لِمَنْ عَمِلَ الصَّالحاتِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَهْ»، وفي رواية: «اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ».

أخرجه البُخَارِيُّ في «صحيحه» (ج٦ ص٤٦)، ومُسْلِمٌ في «صحيحه» (١٨٠٥)، والنّسائِيُّ في «السُّنن الكُبرى» (٨٣١٣)، وفي «السُّنن الصُّغرى» (ج٢ ص٣٩)، وأبو عَوَانةَ في «المُسْتَخْرَجِ» (ج٤ ص٣٥٣)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «حِلْيةِ الأولياءِ» (ج٢ ص٣٠١)، وأحمدُ في «المُسْند» (٣٢٠٩)، و(١٣٦٤٦)، وأبو القاسمِ البَغَوِيُّ في «الجَعْدِيّاتِ» (٩٥٩)، والطَّحَاوِيُّ في «مُشْكل الآثارِ» (٣٣٢٤)، والبَيْهَقِيُّ في «السُّنن الكبرى» (ج٩ ص٣٩)، وفي «شُعَبِ الإيمانِ» (١٠٤٦٤)، والبَغَوِيُّ في «شرحِ السُّنّةِ» (٣٩٦٩)، وابنُ حِبَّانَ في «صحيحه» (٥٧٨٩) و(٧٢٥٩)، والطَّيَالِسِيُّ في «المُسند» (٢٠٨٥)، وأَبُو داودَ في «سُننهِ» (٤٥٣)، وابنُ خُزَيْمَةَ في «صحيحهِ» (٧٨٨)، وعَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ في «المُنتخب» (١٣١٩)، والبَزَّارُ في «المُسند» (ج١٣ ص٥٠٩) من طُرُقٍ عن أَنسِ بنِ مَالكٍ ﷺ بِهِ.

قلت: فيجبُ على المُؤمنِ أنْ يهتمّ بِمَا عندَ اللّهِ تَعالى، لأنَّه هو البَاقي الَّذي لا يُنقل نعيمَهُ، ولا يموتُ أهلهُ... فالعاقلُ لا يفرحُ بما يسرُّهُ في الدُّنيا لانْقضائِهَا، لأنّها دارُ عُبورٍ للآخرةِ، واللهُ المُستعانُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا». وفي رواية: **«يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ».** وفي رواية: **«بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ».**

أخرجه مُسْلِمٌ في «صحيحه» (ج١ ص١١٠)، وأَبُو يَعْلَى في «المُسْند» (٦٥١٥)، والدَّانِيُّ في «السُّنن الواردة في الفِتَن» (٤٧ و٤٩)، والآجُرِّيُّ في «الشَّريعة» (٨٠)، وابنُ البُخَارِيّ في «مَشْيخته» (ج٣ ص١٨٣٢)، والتِّرْمِذِيُّ في «سُننه» (ج٦ ص٤٣٨)، وأبو عَوَانة في «المُسْتخرج» (ج١ص٥٠)، وأبو حَيَّان الأندلسيُّ في «المنتخب من شيوخ بغداد» (ق/ ١٠٠/ ط)، وأحمدُ في «المُسْند» (ج٢ ص١٥)، والأبَرْقُوهِيُّ في «مُعْجم شُيُوخه» (ق/ ١٢١/ ط)، وابنُ مَنْدَه في «الإيمان» (ج١ ص٥٣٤)، والسِّلفيُّ في «المَشْيخةِ البَغْداديَّةِ» (ق/ ٣١/ ط)، وابنُ حِبَّانَ في «صحيحه» (ج١٥ ص٩٦)، والبَغَوِيُّ في «شَرح السُّنة» (ج١٥ ص١٥)، وفي «مَعَالم التّنزيل» (ج٢ ص٨٨)، وابنُ أَبِي عَاصِمٍ في «الزُّهد» (ص٨٨)، والفِرْيَابِيُّ في «صِفَة المُنَافق» (ص٧٧)، والسَّعْدِيُّ في «حديثه» (ص٣٤٨)، والذَّهَبِيُّ في «السِّير» (ج١١ ص٢٤)، وابنُ الجَوْزِيّ في «مَشْيخته» (ص٩٦)، وفي «جامع المَسَانيد» (ج٥ ص٤٦٤)، وفي «الحَدَائق» (ج٣ ص٣٥٧) وأَبُو نُعَيْمٍ في «المُسند المُسْتخرج على صحيح مُسْلِمٍ» (ج١ ص١٨٨) وابنُ عَساكر في «تاريخ دمشق» (ج٢٤ ص٤٥٧) مِنْ طُرُقٍ عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهِ.

ومِنْ هذا الوجهِ ذكرهُ ابنُ حَجَرٍ في «إتحاف المَهرة» (ج١٥ ص٤٩٦).

وأخرجه إسحاقُ بنُ رَاهَوَيْه في «المُسْند» (ج١ ص٤٠١) مِنْ طَرِيقِ كُلْثُوم بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سِدْرَةَ نا عَطَاءُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه بِهِ.

وأخرجه أحمدُ في «المُسْند» (ج٢ ص٣٩٠)، والفِرْيَابِيُّ في «صِفَة المُنَافق» (ص٧٦) مِنْ طَرِيقِ يحيى بنِ إسحاق عن ابْنِ لَهِيعَةَ عن أبي مُوسى عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه بِهِ.

وأوردهُ الهَيْثَمِيُّ في «الزَّوائد» (ج٧ ص٢٨١): ثم قال: رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُ مِنْ قَوْلِهِ: «المُتَمَسِّكُ بِدِينِهِ...» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَفِيهِ ابْنُ لَهِيعَةَ، وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيح.

قَالَ الحافظُ النَّوَوِيُّ رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» مُعلِّقاً على حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه في الفِتَنِ (ج٢ ص١٣٣): (مَعْنَى الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ تَعَذُّرِهَا، وَالِاشْتِغَالِ عَنْهَا بِمَا يَحْدُثُ مِنَ الْفِتَنِ الشَّاغِلَةِ الْمُتَكَاثِرَةِ، الْمُتَرَاكِمَةِ كَتَرَاكُمِ ظَلَامِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لَا الْمُقْمِرِ، وَوَصَفَ ﷺ نَوْعًا مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ الْفِتَنِ، وَهُوَ أَنَّهُ يُمْسِي مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا، أَوْ عَكْسُهُ، وَهَذَا لِعِظَمِ الْفِتَنِ يَنْقَلِبُ الْإِنْسَانُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ هَذَا الِانْقِلَابَ). اهـ

وَقَوْلُه ﷺ: «مُؤْمِناً»؛ أَي: مَوصُوفاً بأصلِ الإيمانِ وكَمالِهِ، «وَيَمْسِي كَافِراً»؛ أَي: حقيقةً أو كَافراً للنِّعْمةِ أو مُشابهاً للكَفَرةِ أو عامِلاً عَمل الكافرِ، وقيل: المعنى يُصبح مُحرِّماً ما حَرَّمَهُ الله، ويُمسي مُستحلاً إياه وبالعَكْسِ... وكُلَّ ذلكَ يفعل لنيلِ قليلٍ من حُطامِ الدُّنيا.

و«العَرَضُ» ما عُرض لكَ من مَنافعِ الدُّنيا، وهذا ما أشبهه مِنْ أحاديثِ الفِتَنِ[١].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ رحمه الله: (وَمِنْ هَذَا البَابِ أَيْضاً؛ أي: طلبُ العلمِ للرئاسةِ على الخلقِ، والتَّعاظمِ عليهم؛ كَرَاهَةُ الدُّخولِ عَلَى المُلُوكِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُم، وَهُوَ البَابُ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ عُلَمَاءُ الدُّنْيَا إِلَى نَيْلِ الشَّرَفِ والرِّيَاسَاتِ فِيهَا....

وَسَبَبُ هَذَا مَا يُخْشَى مِنْ فِتْنَةِ الدُّخولِ عَلَيْهِمْ، فإنّ النَّفْسَ قَدْ تُخَيِّلُ للإنْسَانِ إذَا كَانَ بَعِيداً عَنْهُمْ أَنَّهُ يَأْمُرُهُمْ، وَيَنْهَاهُم وَيَعْلِظُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا شَاهَدَهُم قَرِيباً مَالتِ النَّفْسُ إِلَيْهِمْ، لأَنَّ مَحَبَّةَ الشَّرَفِ كَامِنَةٌ فِي النَّفْسِ لَهُ، وَلذَلِكَ يُدَاهِنُهُمْ، وَيُلَاطِفُهُمْ...)[٢]. اهـ

قُلْتُ: فَبَيَّنَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ خُطُورَةَ حِرْصِ الإنْسَانِ عَلَى جَمْعِ المَالِ، وَأَنَّهُ قَدْ يَجُرُّ الإِنْسَانَ الحَرِيصِ إِلَى ارْتِكَابِ المَحْظُورِ، وَكَذَلِكَ حَرْصُ الإِنْسَانِ عَلَى نَيْلِ الشَّرَفِ والعُلوِّ فَهُوَ فِي الغَالِبِ يَمْنَعُ خَيْرَ الآخِرَةِ، وَشَرَفَهَا، وَكَرَامَتَهَا، وَأَنَّهُ قَدْ يُؤَدِّي أَحْيَاناً إلى الكِبْرِ، واحْتِقَارِ النَّاسِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ ضَرَبَ مَثَلاً فِي حَدِيثِ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ...»، وَهُوَ مَثَلٌ عَظِيمٌ جِدّاً فِي فَسَادِ دِينِ الْمُسْلِمِ بالحِرْصِ عَلَى المَالِ، وَالشَّرَفِ فِي الدُّنيا، وأَنَّ فَسَادَ الدِّينِ بذَلِكَ لَيْسَ

(١) انظر: «فَيْض القدير» للمُنَاوِيِّ (ج٣ ص١٣٣)، و«تُحفة الأَحْوذي» للمُباركفُورِيِّ (ج٦ ص٤٣٩).

(٢) «شَرح حديثِ: مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ...» (ص٤٨ و٥٣)، ط. الدَّار السَّلفية، الكويت، ط. الثانية.

بِدُونِ فَسَادِ الغَنَمِ بِذَئْبَيْنِ جَائِعَيْنِ ضَارِيَيْنِ بَاتَا فِي الغَنَمِ قَدْ غَابَ عَنْهَا رُعاؤُهَا لَيْلاً، فَهُمَا يَأْكُلاَنِ فِي الغَنَمِ، وَيَفْتَرِسَانَ فِيهَا.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَنْجُو مِنَ الغَنَمِ مِنْ إِفْسَادِ الذِّئْبَيْنِ المَذْكُورَيْنِ، والحَالَةُ هَذِهِ إِلَّا قَلِيلٌ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ حِرْصَ المَرْءِ عَلَى المَالِ، والشَّرَفِ إِفْسَادٌ لِدِينِهِ لَيْسَ بِأَقَلِّ مِنْ إِفْسَادِ الذِّئْبَيْنِ لِهَذَا الغَنَمِ.

بَلْ إِمّا أَنْ يَكُونَ مُسَاوِياً، وَإِمَّا أَكْثَرَ، يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ دِينِ المُسْلِمِ مَعَ حِرْصِهِ عَلَى المَالِ والشَّرَفِ فِي الدُّنْيا إِلَّا القَلِيلُ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنَ الغَنَمِ مَعَ إِفْسَادِ الذِّئْبَيْنِ المذكُورَيْنِ فِيهَا إِلَّا القَلِيلُ [١].

قُلْتُ: فَهَذَا المَثَلُ العَظِيمُ يَتَضَمّنُ غَايَةَ التَّحْذِيرِ مِنْ شَرِّ الحِرْصِ عَلَى المَالِ والشَّرَفِ فِي الدُّنيا.

الحِرْصُ دَاءٌ قَدْ أَضَرَّ بِمَنْ تَرَى إِلَا قَلِيلاً

كَم مِنْ حَرِيصٍ طَامِعٍ وَالحِرْصُ صيَّرَهُ ذَلِيلاً [٢]

---

(١) انظر: شَرْح حَدِيثِ: «ما ذِئْبَانِ جائِعَانِ...» لابنِ رَجَبٍ (ص١٠ و١١)، ط. الدَّار السَّلفية، الكويت، ط. الثانية.

(٢) انظر: شَرْح حَدِيثِ: «ما ذِئْبَانِ جائِعَانِ...» لابنِ رَجَبٍ (ص١٠ و١١)، ط. الدَّار السَّلفية، الكويت، ط. الثانية.

قلت: وَمَتَى وَصَلَ الحِرْصُ عَلَى المَالِ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ نَقَصَ بِذَلِكَ الدِّينُ، والإِيمانُ نَقْصاً بيِّناً، فَإِنَّ مَنْعَ الوَاجِبَاتِ، وَتَناولَ المُحرِمَاتِ يَنْقُصُ بِهِمَا الدِّينُ، والإِيمانُ بَلاَ رَيْبٍ حتّى لَا يَبْقَى مِنْهَ إِلَّا القَلِيلُ[(١)].

وَحِرْصُ المَرْءِ عَلَى الشَّرَفَ فَهُوَ أَشَدُّ إِهْلَاكاً مِنَ الحِرْصِ عَلَى المَالِ، فإِنَّ طَلَبَ شَرَفِ الدُّنيا والرِّفْعَةِ فِيهَا، والرِّيَاسَةِ عَلَى النَّاسِ، والعُلوِّ فِي الأَرْضِ أضرُّ عَلَى العَبْدِ مِنْ طَلَبِ المَالِ، وَضَرَرُهُ أَعْظَمُ، والزُّهدُ فِيهِ أَصْعَبُ، فإِنَّ المَالَ يُبذلُ فِي طَلَبِ الرِّياسَةِ، والشَّرَفُ[(٢)].

والحِرْصُ عَلَى الشَّرَفِ عَلَى قِسْمَيْنِ:

أحدهما: طَلَبُ الشَّرَفِ بالوِلَايَةِ، والسُّلْطانِ، والمَالِ، وَهَذَا خَطَرٌ جدّاً، وَهُوَ فِي الغَالِبِ يَمْنَعُ خَيْرَ الآخِرَةِ، وَشَرَفَهَا وَكَرَامَتَهَا، وَعِزَّهَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

---

(١) انظر: «المصدر السابق» (ص٢٠).

قلت: وهذا بالنِّسبةِ للمُسْلِمِ ضعيفُ الإيمان، فلا يَبْقَى منه إلَّا القليل، وقَدْ بينتُ ذَلِكَ في كتابي «القَنَاعة»، وللّهِ الحمد والمِّنة.

(٢) انظر: «المصدر السّابق» (ص٢٠).

وَقَلَّ مَنْ يَحْرِصُ عَلَى رياسَةِ الدُّنيا بطَلَبِ الوِلَايَاتِ فَيُوَفَّقُ، بَلْ يُوكَلُ إِلَى نَفْسِهِ، **كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لعَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه: «يَا عَبْدَ الرَّحْمنِ! لَا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا»**[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَنِعْمَ المُرْضِعَةُ، وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ»[(٢)].

وَقوله ﷺ: «فَنِعْمَ المُرضِعَةُ، وبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ»، فَنِعْمَ المُرضِعَةُ: أَي فِي الدُّنْيَا، وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ: يَعْنِي بَعْدَ المَوْتِ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الْمُحَاسَبَةِ عَلَى ذَلِكَ.

فَهُوَ كَالَّذِي يُفْطَمُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَغْنِيَ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ هَلَاكُهُ.

وقيل: نِعْمَ المُرْضِعَةُ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ حُصُولِ الجَاهِ، وَالمَالِ، وَنَفَاذِ الْكَلِمَةِ، وَتَحْصِيلِ اللَّذَّاتِ الْحِسِّيَّةِ، وَالْوَهْمِيَّةِ حَالَ حُصُولِهَا.

وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ: عِنْدَ الِانْفِصَالِ عَنْهَا بِمَوْتٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ التَّبِعَاتُ فِي الْآخِرَةِ[(٣)].

---

(١) أخرجه البُخَارِيُّ في «صحيحه» (ج١١ ص٥١٧)، ومُسْلِمٌ في «صحيحه» (ج٣ ص١٤٧٣).

(٢) أخرجه البُخَارِيُّ في «صحيحه» (ج١٣ ص١٢٥)، وأحمدُ في «المُسْند» (ج١٣ ص٤٤٨).

(٣) انظر: «فتحَ الباري بَشْرحِ صحيحِ البُخَارِيِّ» (ج١٣ ص١٢٥).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي قَالَ: إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ، وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[(١)].

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ».

قَالَ الحافظُ النَّوَوِيُّ رحمه الله: (هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي اجْتِنَابِ الْوِلَايَاتِ، لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوَظَائِفِ تِلْكَ الْوِلَايَةِ، وَأَمَّا الْخِزْيُ والنَّدَامَةُ، فهوَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا، أَوْ كَانَ أَهْلًا وَلَمْ يَعْدِلْ فِيهَا فَيُخْزِيهِ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَفْضَحُهُ، وَيَنْدَمُ عَلَى مَا فَرَّطَ.

وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْوِلَايَةِ، وَعَدَلَ فِيهَا فَلَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ... ولَكِنَّ فِي الدُّخُولِ فِيهَا خَطَرٌ عَظِيمٌ... وَامْتَنَعَ مِنْهَا خَلَائِقٌ مِنَ السَّلَفِ...)[(٢)]. اهـ

وَقَالَ شَيْخُنَا الشَّيْخ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ العُثَيْمِينِ رحمه الله: (قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ ضَعِيفٌ» وَهَذَا القَوْلُ إِذَا كَانَ مُصَارَحَةً أَمَامَ الإِنْسَانِ فَلاَ شَكَّ أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى النَّفْسِ،

---

(١) أخرجه مُسْلِمٌ في «صحيحه» (ج٣ ص١٤٥٧).

(٢) «شَرْح صَحيحِ مُسلم» (ج١٢ ص٢١٠).

وَأَنَّهُ قَدْ يُؤَثِّرُ فِيكَ أَنْ يُقَالَ لَكَ «إِنَّكَ امْرُؤٌ ضَعِيفٌ» لَكِنَّ الأَمَانَةَ تَقْتَضِي هَذَا، أَنْ يُصَرَّحَ للإِنْسَانِ بَوصْفِهِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ إِنْ قَوِيّاً فَقَوِيٌّ، وَإِنْ ضَعِيفاً فَضَعِيفٌ.

هَذَا هُوَ النُّصْحُ «إِنَّكَ امْرُؤٌ ضَعِيفٌ» وَلاَ حَرَجَ عَلَى الإِنْسَانِ إِذَا قَالَ لشَخْصٍ مَثَلاً: إِنَّ فِيكَ كَذَا وَكَذَا مِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ لَا مِنْ بَابِ السَّبِّ والتَّعْيِيرِ فالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَلاةِ وَالسَلامْ قَالَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ ضَعِيفٌ»[1].اهـ

وَقَالَ أَبُو شَامَةَ المَقْدِسِيّ رحمه الله: (فَنَظَرَ فِي بَعْضِ نُكَتِ الخِلَافِيِّينَ المُتَأَخِّرِينَ، العَارِيَةِ عَنْ مآخِذِ الأَئِمَّةِ، وَفِقْهِ المُتَقَدِّمِينَ، وَعَدّ نَفْسَهُ – لِغَرَابَةِ مَا أَتَى بِهِ – مِنْ رُؤُوسِ العُلَمَاءِ، وَهُوَ عِنْدَ اللّهِ تَعالى، وعِنْدَ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ مِنْ أجهل الجُهَلَاءِ، قَدْ حُرِمَ أَهْلِ الدِّينِ، والعِلْمِ الفَاخِرِ، وَرَضِيَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ بِإِطْلَاقِ العِلْمِ المُستدِلّ المُنَاظِر)[2]. اهـ

قلتُ: فالتَّعَالُمُ مِنْ هَذَا الجِنْسِ مَعَ ضَعْفِهِمْ فِي العِلْمِ فَهُوَ ادِّعَاءٌ كَاذِبٌ وَتَكَلّفٌ ظَاهِرٌ، وَقَدْ ذَمّ أَهْلُ العِلْمِ هَذَا الصِّنْفِ مِنَ النَّاسِ وَسَخِرُوا مِنْهُ، فَوَيْلٌ لِمَنْ حَمَلُوا أَوْزَارَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥].

---

(١) «شَرْح رياض الصَّالِحِينَ» (ج٧ ص١٠).

(٢) «خُطبة الكِتَابِ المُؤمل للردِّ إلى الأمرِ الأَوَّلِ» (ص٩٤).

فالحِرْصُ حِرْصَانِ، حِرْصٌ فَاجِعٌ، وَحِرْصٌ نَافِعٌ.

فَأَمَّا النَّافِعُ فَحِرْصُ المَرْءِ عَلَى طَاعَةِ اللّـهِ، وَأَمَّا الحِرْصُ الفَاجِعُ فَحِرْصُ المَرْءِ عَـلَى الدُّنْيَا.

فالحِرْصُ عَلَى الدّنْيَا مُعَذّبٌ صَاحِبَهُ، مَشْغُولٌ لَا يُسَرُّ وَلَا يَلَذُّ بِجَمْعِهِ لِشُغْلِهِ، فـلَا يَفْرُغُ مِنْ مَحبةِ الدُّنْيَا لِآخرتِهِ لالْتِفَاتِهِ لِما يَفْنَى، وَغَفْلَتِهِ عَمّا يَدُومُ وَيَبْقَى[١].

قَالَ الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رحمه الله: (اتَّقُوا السَّحَّارَةَ، فَإِنَّهَا تَسْحَرُ قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ)،[٢] يَعْنِي الدُّنْيَا.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلَيْنِ قَالَا للنَّبِيِّ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللّـهِ! أَمِّرْنَا. قَالَ: إِنَّا لَا نُوَلِّي أَمْرَنَا هَذَا مَنْ سَأَلَهُ، وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ»[٣].

---

(١) انظر: شرَحْ حديثِ: «ما ذِئْبَانِ جائِعَانِ...» (ص١٤).

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه ابنُ أَبِي الدُّنْيا في «ذَمّ الدُّنيا» (ص٢٤)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «الحِلْية» (ج٢ ص٣٦٤) مِنْ طريقِ عليِّ بنِ مُسْلم نا سَيار بنُ حَاتمٍ نا جَعفرُ بنُ سُليمان قال: سمعتُ مَالِكَ بِهِ.

قلت: وهذا سندهُ حسنٌ.

(٣) أخرجه البُخَارِيُّ في «صحيحه» (ج١٣ ص١٢٥)، ومُسْلِمٌ في «صحيحة» (ج٣ ص١٤٥٦).

وَاعْلَمْ أَنَّ الحِرْصَ عَلَى الشَّرَفِ يَسْتَلْزِمُ ضَرَراً عَظِيماً قَبْلَ وقُوعِهِ فِي السَّعي فِي أَسْبَابِهِ، وَبَعْدَ وقُوعِهِ بِالحِرْصِ العَظِيمِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ صَاحِبُ الوِلَايَةِ مِنَ الظُّلْمِ والتَّكبرِ، وغَيرِ ذَلِكَ مِنَ المفَاسِدِ[١].

قَالَ الحافظُ النَّوَوِيُّ رحمه الله: (قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالْحِكْمَةُ فِي أَنَّهُ لَا يُوَلَّى مَنْ سَأَلَ الْوِلَايَةَ أَنَّهُ يُوكَلُ إِلَيْهَا، وَلَا تَكُونُ مَعَهُ إِعَانَةٌ؛ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ السَّابِقِ؛ وَإِذَا لَمْ تَكُنْ مَعَهُ إِعَانَةٌ لَمْ يَكُنْ كُفْئًا وَلَا يُوَلَّى غَيْرُ الْكُفْءِ، وَلِأَنَّ فِيهِ تُهْمَةً لِلطَّالِبِ وَالْحَرِيصِ)[٢]. اهـ

قُلْتُ: الحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا مَفْسَدٌ للدِّينِ وَالمُروءَةِ.

يا إِخْوَتَاهُ لَا تَغْبِطُوا حَرِيصاً عَلَى ثَرْوَتِهِ، وَسِعَتِهِ فِي مَكْسَبٍ، وَلَا مَالٍ، وَانْظُرُوا لَهُ بِعَيْنِ المقتِ لَهُ فِي اشْتِغَالِهِ الْيَوْمَ بِمَا يُرْدِيهِ غَداً فِي المَعَادِ، اللَّهُمَّ غُفْراً.

قلتُ: وَقَدْ تَبَيَّنَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنّ حُبَّ المَالِ، والرِّياسَةِ، وَالحِرْصَ عَلَيْهَا يُفْسِدُ دِيْنَ المَرْءِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَأَصْلُ مَحَبَّةِ المَالِ والشَّرَفِ، حُبُّ الدُّنْيَا، وأصلُ حُبِّ الدُّنيا اتّباعُ الهَوَى.

---

(١) انظر: شَرْح حَديثِ: «ما ذِئْبَانِ جائِعَانِ...» (ص٢٣).

(٢) «شَرْح صحيحِ مُسلم» (ج١٢ ص٢٠٧).

فَمِنَ اتِّبَاعِ الهَوَى الرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا، وَمِنَ الرَّغْبَةِ فِيهَا حُبُّ المَالِ وَالشَّرَفِ، وَمِنْ حُبِّ المالِ وَالشَّرَفِ اسْتِحْلَالُ المَحَارِمِ.

قلتُ: فَإِنَّهُ حُبٌّ يَحْمِلُ المَالَ وَالشَّرَفَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا، وإِنَّمَا تَحْصُلُ الرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا مِنَ اتِّبَاعِ الهَوَى، لأَنَّ الهَوَى دَاعٍ إِلَى الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا، وَحُبِّ المَالِ وَالشَّرَفِ فِيهَا، والتَّقْوَى تَمْنَعُ مِنَ اتِّبَاعِ الهَوَى، وَتَرْدَعُ عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ *وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا *فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ *وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ *فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

النَّوْعُ الثَّانِي: مَنْ يَطْلُبُ بالعِلْمِ وَالعَمَلِ، وَالزُّهْدِ الرِّئَاسَةِ عَلَى الخَلْقِ، وَالتَّعَاظُمِ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَنْقَادَ الخَلْقُ، وَيَخْضَعُوا لَهُ، وَيَصْرِفُوا وُجُوهَهُم إِلَيْهِ، وَأَنْ يُظْهِرَ للنّاسَ زِيَادَةَ عِلْمِهِ عَلَى العُلَمَاءِ لِيَعْلُوَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهَذَا مَوْعُدُهُ النَّارُ، لأَنّ قَصَدَ التَّكبرِ عَلَى الخَلْقِ مُحَرَّمٌ فِي نَفْسِهِ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ فِيهِ آلَةَ الآخِرَةِ كَانَ أَقْبَحَ وَأَفْحَشَ مِنْ أَنْ يَسْتَعْمِلَ فِيهِ آلاتِ الدُّنْيَا مِنَ المَالِ والسُّلْطَانِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: **«إِنَّ أَوَّلَ الخَلْقِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ... مِنْهُمُ العَالِمُ الَّذِي تَعَلَّمَ**

---

(١) انظر: شَرْح حديثِ «ما ذِئْبَانِ جائِعَانِ...» (ص٥٧).

العِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: قَارِئٌ، وَأَنَّهُ يُقَالُ لَهُ: قَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وأُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ» [١].

قُلْتُ: فَعَاقَبَهُ عَلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُ لِغَيْرِ اللّهِ، وَأَدْخَلَهُ النَّارَ مَعَ أَنَّهُ عَالِمٌ، وَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الرِّيَاءِ، وَشِدَّةِ عُقُوبَتِهِ، وَعَلَى الحَثِّ عَلَى وُجُوبِ الإِخْلَاصِ فِي الأَعْمَالِ [٢].

قُلْتُ: فَمَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضرَّ بآخِرَتِهِ، ودينِهِ، ولا بدَّ، والعياذُ باللّهِ [٣].

فَعَنِ الإِمَامِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (أَرْبَعٌ مِنْ أَعْلامِ الشَّقَاءِ: قَسْوَةُ الْقَلْبِ، وَجُمُودُ الْعَيْنِ، وَطُولُ الأَمَلِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا [٤]**).**

---

(١) أخرجه مُسْلِمٌ في «صحيحه» (ج٣ ص١٥١٤)، وأحمدُ في «المُسْند» (ج٢ ص٣٢٢)، والبُخَارِيُّ في «خَلْقِ أفعال العِبَاد» (ص١٠٤)، والحاكمُ في «المُسْتدرك» (ج١ ص٤١٩).

(٢) انظر: «شَرْح صحيح مُسلم» للنَّوَوِيِّ (ج١٣ ص٥٠).

(٣) انظر: «ذم الدَّنيا» لابنِ أَبِي الدُّنيا (ص١٢).

قُلْتُ: يا عَجباً كَلَّ العجبِ للمُؤْمنِ بدارِ الخُلودِ، وَهُوَ يَسْعَى لدارِ الغُرورِ، نعوذُ باللّهِ مِنَ الخِذْلان.

(٤) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه ابنُ أَبِي الدُّنيا في «ذمّ الدُّنيا» (ص٢٣).

وإسناده حسن.

وَعَنِ الإِمَامِ بِلالِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (وَاللَّـهِ لَكَفَى بِـهِ ذَنْبًـا أَنَّ اللَّـهَ عَـزَّوَ جَـلَّ يُزَهِّدُنَا فِي الدُّنْيَا، وَنَحْنُ نَرْغَبُ فِيهَا، فَزَاهِدُكُمْ رَاغِـبٌ، وَمُجْتَهِـدُكُمْ مُقَصِّـرٌ، وَعَـالِمُكُمْ جَاهِلٌ)[١].

قلتُ: فالدُّخُولُ في الدُّنيا هينٌ، لكِن التَّخلص مِنْها شديدٌ، واللهُ المُستعانُ.

وَعَنِ الإِمَامِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (جُعِلَ الشَّـرُّ كُلُّـهُ فِي بَيْـتٍ، وَجُعِـلَ مِفْتَاحُهُ حُبَّ الدُّنْيَا، وَجُعِلَ الخَيْرُ كُلُّهُ فِي بَيْتٍ، وَجُعِلَ مِفْتَاحُهُ حُبَّ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا) [٢].

---

(١) أثرٌ صحيحٌ.

أخرجه ابنُ المُباركِ في «الزُّهد» (٤٨٤)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «حِلْيَةِ الأولياءِ» (ج٥ ص٢٢٤)، وابنُ أَبِي الدُّنيا في «ذمِّ الدُّنيا» (ص٢٥).

وإسنادهُ صحيحٌ.

(٢) أثرٌ صحيحٌ.

أخرجه السُّلمِيُّ في «طبقات الصُّوفية» (ص١٣)، وابنُ أَبِي الدُّنيا في «ذمّ الدُّنيا» (ص٣٠٦)، وابنُ الأَعْرابيّ في «الزُّهد» (ص٦)، وابنُ حَمكَان في «الفوائد والأخبار» (ص١٥٦)، وابنُ عَساكر في «تاريخ دمشق» (ج٤٨ ص١٤١٣)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «حِلْية الأولياء» (ح٨ ص٩١)، والبَيْهَقِيُّ في «الزُّهد» (ص١٣٣).

وإسنادهُ صحيحٌ.

وَعَنِ الإِمَامِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (أَلَا إِنَّ الْعَاقِلَ الْمُصِيبَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَنْ عَمِلَ ثَلَاثًا: تَرَكَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَهُ، وَبَنَى قَبْرَهُ[١] قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُ)[٢].

وَعَنِ الإِمَامِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧]؛ (لَيَبْلُغُ مِنْ عِلْمِ أَحَدِهِمْ مِنْ دُنْيَاهُ أَنَّهُ يُقَلِّبُ الدِّرْهَمَ عَلَى ظُفْرِهِ؛ يُخْبِرُكَ بِوَزْنِهِ، مَا يُحْسِنُ يُصَلِّي).

أثرٌ صحيحٌ

أخرجه أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ في «الزُّهد» (ص٦٦)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ في «التَّفسير» (ج٩ ص٣٠٨٨) وابنُ الْمُنْذِرِ في «التّفسير» (ج٦ ص٤٨٤ – الدُّر الْمَنْثُورة) من طريق عَلِيِّ بْنِ عُثْمَانَ اللاحِقِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ بَشِيرٍ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ بِهِ.

قلت: وهذا سندهُ صحيحٌ.

---

(١) يعني: بالعَمَلِ الصَّالحِ، والعِلْمِ النّافعِ.

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه ابنُ حَمكَان في «الفوائد والأخبار» (ص١٤٧)، وابنُ الجَوْزِيِّ في « صِفَةِ الصَّفوة» (ج٢ ص٧٦).

وإسنادهُ حسنٌ.

وَعَنِ الزَّاهِدِ أَبِي مُعَاوِيَةَ الأَسْوَدَ رحمه الله قَالَ: (مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ طَالَ غَدًا فِي الْقِيَامَةِ غَمُّهُ)[١].

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ التُّجِيبِيِّ رحمه الله: (إِذَا رَأَيْتَ الْعَبْدَ دُنْيَاهُ تَزْدَادُ، وَآخِرَتُهُ تَنْقُصُ مُقِيمًا عَلَى ذَلِكَ رَاضِيًا بِهِ، فَذَلِكَ الْمَغْبُونُ الَّذِي يَلْعَبُ بِوَجْهِهِ وَهُوَ لا يَشْعُرُ)[٢].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنْ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»[٣].

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِسْحَاقَ الْوَزِيرُ رحمه الله[٤]:

---

(١) أثرٌ حسنٌ.

أخرجه ابنُ أَبِي الدُّنْيا في «ذمّ الدُّنيا» (ص١٠٦)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «حِلْية الأولياء» (ج٨ ص٢٨٢)، وابنُ الجَوْزِيِّ في «صِفَةِ الصَّفوة» (ج٤ ص٢٧١).

وإسنادهُ حسنٌ.

(٢) أثرٌ حسنٌ.

أخرجه ابنُ أَبِي الدُّنيا في «ذمِّ الدُّنيا» (ص١٤١)، وابنُ المُباركِ في «الزُّهد» (٦٢٨).

إسنادهُ حسنٌ.

(٣) أخرجه البُخَارِيُّ في «صحيحه» (ج٣ ص٢٥٨)، ومُسْلِمٌ في «صحيحه» (١٠٥٢).

(٤) انظر: «أَدب الإِملاءِ والاستِمْلَاءِ» للسَّمْعانيِّ (ج٢ ص٤٠١).

أُفٍّ لِلدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ دَارِ هَـمٍّ وَبَلِيَّـةِ

وعَنِ الإِمَامِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رحمه الله قَالَ: (إِنَّ الْقُرَّاءَ ـ يَعْنِي: القُصَّاص ـ أَعَدُّوا سُلَّمًا إِلَى الدُّنْيَا، فَقَالُوا: نَدْخُلُ عَلَى الأُمَرَاءِ نُفَرِّجُ عَنِ المَكْرُوبِ، وَنَتَكَلَّمُ فِي المَحْبُوسِ)[١].

وَعَنْ الزَّاهِدِ أَبِي مُعَاوِيَة الأَسْوَدِ رحمه الله قَالَ: (مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ طَالَ غَدًا فِي الْقِيَامَةِ غَمُّهُ) [٢].

وَعَنْ عَمْرَوِ بْنِ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ: «فَوَاللّـهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» [٣].

---

(١) أثرٌ صحيحٌ.

أخرجه السِّلَفيُّ في «المَشْيخة البغدادية» (ج١ ص٤٣٠).

وإسنادهُ صحيحٌ.

(٢) أثرٌ حسنٌ.

أخرجه ابنُ أَبِي الدُّنْيا في «ذمّ الدُّنيا» (ص١٠٦)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «حِلْية الأولياء» (ج٨ ص٢٧٢)، وابنُ الجَوْزِيِّ في «صِفَةِ الصَّفوة» (ج٤ ص٢٧١).

وإسناده حسنٌ.

(٣) أخرجه البُخَارِيُّ في «صحيحه» (ج٨ ص١١٢)، ومُسْلِمٌ في «صحيحه» (ج١٨ ص٩٥)، والتِّرْمِذِيُّ في «سُننهِ» (٢٥٨٠)، وابنُ مَاجَه في «سُننهِ» (٣٩٩٧)، وأحمدُ في «المُسْند» (ج٤ ص١٣٧)، وابنُ أَبِي الدُّنيا في «ذَمِّ الدُّنيا» (ص٧٩).

وَعَنِ الإِمَامِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رحمه الله قَالَ: (جُعِلَ الشَّرُّ كُلُّهُ فِي بَيْتٍ، وَجُعِلَ مِفْتَاحُهُ حُبَّ الدُّنْيَا، وَجُعِلَ الخَيْرُ كُلُّهُ فِي بَيْتٍ، وَجُعِلَ مِفْتَاحُهُ حُبَّ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا) (١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ».

أخرجه البُخَارِيُّ في «صحيحه» (ج٤ ص٤١)، وابنُ مَاجَه في «سُننِهِ» (٤١٣٥) و(٤١٣٦)، والبَغَوِيُّ في «شَرَحِ السُّنّةِ» (٤٠٥٩)، والعَسْكَرِيُّ في «مُسْند أَبِي هُرَيْرَةَ» (ص٧٠)، وأَبُو يَعْلَى في «المُسْند» (ج١ ص١٢٨)، والبَيْهَقِيُّ في «السُّنن الكبرى» (ج١٠ ص٢٤٥)، وابنُ حِبّان في «صحيحه» (ج٨ ص١٢)، والقَسْطَلَانِيُّ في «إرشاد السَّاري» (ج٦ ص٤١٧)، وابنُ الأَعْرابيِّ في «الزُّهد» (ص٧٠ و٧١) مِنْ طَرِيقِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه بِهِ.

---

(١) أثرٌ صحيحٌ.

أخرجه السُّلميُّ في «طبقات الصُّوفية» (ص١٣)، ابنُ أَبِي الدُّنْيا في «ذمّ الدُّنيا» (٣٠٦)، وابنُ الأعرابي في «الزُّهد» (٦١)، وابن حَمَكَان في «الفوائد والأخبار» (ص١٥٦)، وابنُ عَساكر في «تاريخ دمشق» (ج٤٨ ص٤١٣)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «حِلْية الأولياء» (ج٨ ص٩١)، والبَيْهَقِيُّ في «الزُّهد» (ص١٣٣).

وإسنادهُ صحيحٌ.

قلتُ: «تَعِسَ»: انْكَبَّ، وسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ، أَوْ شَقِيَ وهَلَكَ، **«والخَمِيصَة»**: كِسَاءٌ أَسودٌ مُرَبَّعٌ له خُطُوطٌ، **«انْتَكَسَ»**: انْقَلَبَ عَلَى رَأْسِهِ؛ أَيْ: الشَّيء المَنْكُوس، وَهُوَ دُعاءٌ عَليهِ بالخَيْبةِ، والخُسْرانِ، **«وَإِذَا شِيكَ»**: أَصابتهُ شَوْكةٌ، **«فَلَا انْتَقَشَ»**: فلَا قَدَرَ عَلَى إخْراجِهَا بالمُنقاشِ، ولا خَرَجَت؛ أي إذا أصُيبَ بأقلِّ أَذًى فلَا وجدَ مُعِيناً علَى الخَلَاصِ منه[(١)].

والمُرادُ: الحَرْصُ علَى المالِ، وتَحمّلُ الذّلة مِنْ أَجْلِهِ، والمُبالغةُ في طَلبِهِ، والانصْرافُ بالعَملِ إليهِ صَارَ كالعَابدِ لَهُ، فصحَّ أَنَّهُ عَبْدٌ في طلبِ المالِ، فوجبَ الدُّعاء عليهِ بالتَّعَسِ؛ **«وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يرضَ»**؛ بما قُدْر له مِنَ المالِ.

قَالَ شِيْخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّة رحمه الله في «الفتاوى» (ج٣٥ ص١٦): (فَطَاعَةُ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ؛ وَطَاعَةُ وُلَاةِ الْأُمُورِ وَاجِبَةٌ لِأَمْرِ اللّهِ بِطَاعَتِهِمْ، فَمَنْ أَطَاعَ اللهَّ وَرَسُولَهُ بِطَاعَةِ وُلَاةِ الْأَمْرِ للهَّ، فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ، وَمَنْ كَانَ لَا يُطِيعُهُمْ إلَّا لِمَا يَأْخُذُهُ مِنْ الْوِلَايَةِ وَالمَالِ فَإِنْ أَعْطَوْهُ أَطَاعَهُمْ، وَإِنْ مَنَعُوهُ عَصَاهُمْ فَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ[(٢)]...). اهـ

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابنِ حَجَرٍ (ج٦ ص٨٢)، و«كَوَاكب الدَّراري» للكِرْمَانيِّ (ج١٢ ص١٥٦)، و«إرشاد السَّاري» للقَسْطلانيِّ (ج٦ ص٤١٧).

(٢) أي: نصيبٌ، فالخَلَاقُ: النَّصيبُ، ومنهُ: قولُه تَعَالى: ﴿لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[آل عمران:٧٧].
انظر: «مُختار الصِّحاح» للرَّازيِّ (ص٧٨).

قلتُ: وفي ذَلِكَ مِنَ التَّحذيرِ مِنَ العُبودَيةِ لغيرِ اللّـهِ تَعَالَى، وخاصَة لهذهِ الأَشْـياءِ الفانِيَةِ؛ كالمالِ، والكسَاءِ، وغَيْرِ ذَلِكَ.

فالمَذْمومُ مِنَ الجَمْعِ، والمُلْكِ مَـا زادَ عَـنِ الحَاجـةِ، وشَـغَلَ عَـنِ اللّـهِ تَعَـالَى، ولم يُستعملْ فِي دِينهِ[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس:٧-٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف:٥١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾[السجدة:١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[الشورى:٢٠].

---

(١) وانظر: «نُزهة المُتقين» (ج١ ص٤١٨)، و«إرشاد السَّاري» للقَسْطلانيِّ (ج٦ ص٤١٧).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ *أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[هود:١٥-١٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم:٢٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد:٢٠].

قَالَ الإمامُ ابنُ الأَعْرَابِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الزُّهد» (ص٤٥): (فَهَذَا الْخِطَابُ، وَالْوَعِيدُ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُ لِلْكَافِرِينَ، فَقَدْ صَرَّحَ اللَّهُ فِيهِ بِذَمِّ الدُّنْيَا، فَتَوَعَّدَ عَلَى إِيثَارِهَا لِلْكَافِرِينَ، وَحَذَّرَ مِنْهَا الْمُؤْمِنِينَ بِذَمِّهِ إِيَّاهَا وإِيثَارِهَا، وَكَانَ غَرَضُنَا فِيمَا تَلَوْنَا أَنَّ اللهَ قَدْ ذَمَّهَا). اهـ

قلتُ: فاجْتنِبُوا الافْتنانَ بالدُّنْيا، واحْذَرُوهَا فإنَّها تَتَلَوْنَ في أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ، وتَبْهَرُ النُّفوس بجمَالِهَا، ونَضارتِهَا، فتسْعَى خَلفهَا النُّفوسُ سَعْياً حَثِيثاً؛ حَتّى تَخرج عَنْ طاعةِ اللّهِ تَعَالى، وَتنْسَى ذِكْرَ الرَّحمنِ، فَيستولى عَليهَا الشَّيطانُ، نعوذُ باللّهِ مِنَ الخِذْلانِ.

فَعَنِ الإِمَامِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (بِقَدْرِ مَا تَفْرَحُ لِلدُّنْيَا، كَذَلِكَ تَخْرُجُ حَلاوَةُ الآخِرَةِ مِنْ قَلْبِكَ)[١].

قلتُ: فالدُّخُولُ في الدُّنيا هَيِّنٌ، لكِن التَّخلص مِنْهَا شَدِيدٌ، واللهُ المستعانُ.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ)[٢].

وَعَنِ الإِمَامِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَمَا شُغِلَ مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا كَثِيرَةُ الأَشْغَالِ، لا يَفْتَحُ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ شُغْلٍ، إِلا أَوْشَكَ ذَلِكَ الْبَابُ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ عَشَرَةَ أَبْوَابٍ)[٣].

---

(١) أثرٌ حسنٌ.

أخرجه ابنُ أَبِي الدُّنْيا فِي «ذَمِّ الدُّنيا» (ص٥٩).

وإسنادهُ حسنٌ.

(٢) أخرجهُ مُسْلِمٌ في «صحيحه» (ج١٧ ص٥٥)، والتِّرْمِذِيُّ في «سُننِهِ» (٢٢٨٦)، وابنُ مَاجَه في «سُننِهِ» (٤٠٠٠)، وأحمدُ في «المُسند» (ج٣ ص١٩)، وابنُ خُزَيْمَةَ في «صحيحه» (١٦٩٩)، وابنُ الأعرابيِّ في «الزُّهد» (ص٤٨)، والخطيبُ في «تاريخ بَغْداد» (ج٥ ص١٩١)، والبَيْهَقِيُّ في «السُّنن الكُبرى» (ج٧ ص٩١)، وابنُ أَبِي الدُّنيا في «ذَمِّ الدُّنيا» (ص٢٩).

(٣) أثرٌ حسنٌ.

أخرجه ابنُ أَبِي الدُّنْيا فِي «ذَمِّ الدُّنيا» (ص٤٧)، وابنُ المُباركِ فِي «الزُّهد» (٥٣٥)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «حِلْية الأولياءِ» (ج٢ ص١٥٣).

وإسناده حُسنٌ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ ﴾ [النجم:٣١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف:٤٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

قُلْتُ: فَالْعِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصوصِ السَّبَبِ؛ أَيْ: إِذَا صَحَّ لِلْآيَةِ سَبَبُ نُزُولٍ، وَجَاءَتْ أَلْفَاظُهَا أَعَمُّ مِنْ سَبَبِ نُزُولِهَا، ومُسْتقِلاً بِنَفْسِهِ إِنْ كَانَ جَوَابُ سُؤَالٍ؛ أَيْ: يَصحّ الْإِبْتِداءُ بِهِ، وَيَكُونُ تَامّاً مُفِيدًا لِلْعُمُومِ؛ فَتُحْمَلُ عَلَى عُمُومِ أَلْفَاظِهَا، شَامِلَةٌ لِأَفْرَادِ السَّبَبِ، وَلِأَفْرَادِ غَيْرِهِ مِمَّا شَابَهَهُ.

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
١)	المقدمة	٠٥
٢)	التنافس في الدنيا يجرّ الإنسان إلى فساد الدنيا والدين	٠٦
٣)	المسلم عليه أن ينظر إلى من هو أدنى منه في أمور الدُّنيا، والنّظر لمن هو أعلى منه في أُمور الدِّين	٠٨
٤)	لابدّ من الاتّعاظ، وأخذ العبرة من الأمم السابقة	١٠
٥)	ذكر الدّليل على الزُّهد في الدُّنيا	١٢
٦)	ذكر الدّليل من الكتاب والسُّنة على ذمّ الدُّنيا	١٣
٧)	اللّهمَ لا عيش إلا عيش الآخرة	١٣
٨)	ذكر الدّليل على المُبادرة إلى الأعمال الصَّالحة في الحياة الدُّنيا	١٤
٩)	فساد دين المسلم بالحرص على المال والرِّياسة والشّرف في الدُّنيا	١٧
١٠)	الحرص على الدُّنيا مفسد للدين والدنيا معاً	٢٤
١١)	ذكر الدّليل من الآثار على ذمّ الدُّنيا	٢٦
١٢)	تَعِسَ عبدُ الدُّنيا	٣١

ذم الدنيا
سلسلة
ينابيع الأنهار في فقه
العقائد والسنة والآثار
٧١